تأسيس الإيطاليين لمستعمرة عصب الإريترية

د/ سعد بدير الحلواني
الأستاذ م. بجامعة الأزهر

تعد عصب الميناء الثاني لإريتريا التي سميت بهذا الاسم في 1890/1/1م / 1307هـ نسبة إلى التسمية اليونانية القديمة للبحر الأحمر (سينوس إريتريوس) [1]. ونجد أن معظم المصادر [2] تكتبها إرتريا إلا أنه بالنظر في أصل التسمية وأصل الكلمة اللاتينية للبحر الأحمر حيث أسماه الجغرافيون الرومان البحر الإريتري (Mare Erythraem) [3] فعند ترجمة كلمة إريتريا نجد أنها (Eritrea). تقع إريتريا على الشاطئ الغربي للبحر الأحمر وتتخذ شكل مثلث ملتصق بكل من إثيوبيا والسودان وبلاد الصومال بين خطي عرض 15°، 18° وخطي طول 36°، 43° شرقاً، والمثلث غير منتظم الأضلاع طول كل من قاعدته وارتفاعه حوالي ثلاثمائة ميل وينحدر من الطرف الشرقي للقاعدة لسان أو ممر طويل ضيق ملاصق للبحر الأحمر، وتطل إريتريا من الشمال والغرب على السودان، ومن الجنوب على أثيوبيا والصومال ومن الشرق على البحر الأحمر بواجهة بحرية طويلة تبلغ حوالي 1000 كيلو متر، أهم موانيها مصوع في الشمال وعصب في الجنوب [4]. وأهم موانيها التاريخية (عدوليس) [5] ولكن الحالية، هي مصوع وعصب فقط. وعُرفت إريتريا في العصور الوسطى وحتى بداية العصور الحديثة باسم "بحر مدر" (Bahrmeder) أو "ميدري بحري" (Medri Bahri) أي بلاد الشاطئ أو الإقليم المطل على البحر، ولا يفصلها عن الجزيرة العربية سوى باب المندب الذي عن طريقه نزح سكان إريتريا الأوائل إلى البر الأفريقي [6]. كما يُستنتج مما

---

(1) جبهة التحرير الإريترية – كفاح إريتريا صـ 196.

(2) د. السيد رجب حراز – إريتريا الحديثة – 1974م – ص2.

(3) بالنظر في مجموعة مراجع الدكتور حراز، ود. الجمل وحتى مراجع جبهة التحرير كلها وجد أنها تكتب إرتريا ويُعضد وجهة نظري هذه كتاب واحد من بين ما حصلت عليه من مراجع الوحيد الذي كتبها (إريتريا) وهو مترجم كتاب س–ف– نايدل – التركيب السكاني في إريتريا – ترجمة جوزيف صفير – وأعتقد أنه الترجمة الصحيحة (1557 – 1941) – معهد البحوث والدراسات العربية – القاهرة.

(4) المرجع السابق – صـ 1.

(5) ج. ك. ن. تريفاسكيس – إريتريا مستعمرة في مرحلة الانتقال – ترجمة جوزيف صفير – ط الأولى. بيروت (يناير) 1977م – صـ على المجلد.

(6) كفاح إريتريا مرجع سبق ذكره – صـ 196.

رواه الأوربيون الذين قدموا إلى هذه البلاد في مطلع القرن السادس عشر أن ميدري بحري كانت مستقلة أو شبه مستقلة، وأن البعثات البرتغالية التي وفدت إلى أثيوبيا عن طريق البحر الأحمر كان من الضروري أن تحصل من (البحر نجش) على تصريح يجيز لها عبور أراضي ميدري بحري. وأن بعثة دي ليما البرتغالية de lima التي وصلت إلى مصوع في عام 1520م/ 925 هـ في طريقها لمقابلة النجاشي لبنا دنقل Lebena Dengel (1508 – 1540) / 913 هـ– 946 هـ قد استبقاها (البحر نجش) مدة من الوقت قبل أن يسمح لها بالمرور عبر بلاده إلى داخل أثيوبيا [1].وربما يُستنتج من رواية الأوربيين هذه ومن استبقاء البعثة البرتغالية كما تقدم منِ قبل البحر نجش أن منطقة (ميدري بحري) كانت مستقلة في أية صورة استقلالية كانت وذلك قبل وصول العثمانيين والمصريين عام 1557م. وتبلغ مساحة إريتريا 119.000 كيلو متر مربع [2] أو 40.000 ميلاً مربعاً أو 50.000 ميلاً مربعاً[3].

ويمكن تقسيم تضاريس إريتريا إلى خمسة أقاليم جغرافية متميزة وهي :

1 –الهضبة الجنوبية الوسطى .
2 –المرتفعات الشمالية.
3 –منخفضات بركة.
4 –منخفضات القاش– ستيت Gashsetit.
5 –السهل الساحلي المطل على البحر الأحمر.

وتكون الهضبة الجنوبية الوسطى قلب إريتريا ويتراوح ارتفاعها بين 6000 و 8000 قدم فوق مستوى سطح البحر [4]. وسكان إريتريا تكونوا من الهجرات والتزاوجات التاريخية بين العناصر الحامية أو الكوشية التي أتت من جنوب مصر وشمال السودان مع العناصر السامية التي جاءت من جنوب

---

(1) د. السيد حراز – مرجع سبق ذكره – صـ 1، 2.
(2) كفاح إريتريا مرجع سبق ذكره – صـ 196.
(3) د. السيد حراز – مرجع سبق ذكره – صـ 1.
(4) د. السيد حراز – مرجع سبق ذكره – صـ 2، 3.

الجزيرة العربية والعناصر الزنجية التي جاءت من غرب وجنوب السودان منذ أكثر من ثلاثة آلاف عام.

والاعتقاد الحالي أنهم شعب نيلي نزحوا من مواطنهم بالأدغال في جنوب شرق السودان إلى منخفضات القاش– ستيت ثم للهضبة الإريترية، وتعرضت كذلك إريتريا لغزوات القبائل الحامية ثم هجرات الساميين ثم الحميريين وكونوا مملكة أكسوم Axum التي بين القرنين الرابع والسادس بلغت ذروة قوتها.

وبعد القرن السادس تدهورت قوة أكسوم كنتيجة مباشرة للفتح العربي لمصر لزحف القبائل الحامية (من البجة) Bega واحتلالها الهضبة الإريترية والمرتفعات الشمالية ومنخفضات بركة بجة. واحتل الدناكل Danakil الطرف الذي يحف بالبحر الأحمر[1]. ربما كانت تلك الهجرات وزحف القبائل الذي دعا نايدل للقول : أن المناطق تضم في الواقع تركيباً عنصرياً مُعقداً ذلك أن إريتريا كانت طوال أجيالها مسرحاً دائماً لموجات متتالية من الهجرات البشرية حتى أنه يسميها فسيفساء (الموزاييك). وتتعدد اللغات مثل لغة البجة، التيجري ، التجرينية، لغة الساهو، البلين، اللغة العربية[2]. وهذه الأخيرة أخذوها عن طريق بلاد العرب أو السودان كما أنها أصبحت اللغة الشائعة الوسيطة، كما توجد لغة الدناكلة التي تقتصر على القبيلة المعروفة بهذا الاسم، ويقدر عددهم في إريتريا بمائة ألف نفس، وهناك في إريتريا مجموعة لغات أخرى ولكن يقتصر استخدامها على تجمعات سكنية أقل عدداً مثل الباريا، الكوناما، وأبليت[3].

والغريب أن مؤلفاً مثل نايدل يُدخل اللغة العربية ضمن اللغات المقتصر استخدامها على تجمعات أقل عدداً وهذا افتراء وتجنٍ واضح على اللغة التي أصابت ما لم تصبه غيرها بفضل إسلامها وقرآنها العظيم وحسبنا

---

(1) س. ف. نايدل – مرجع سق ذكره – صـ 9 وما بعدها، د. السيد حراز – مرجع سابق – صـ 8، 9.

(2) س. ف. نايدل – صـ 15 وما بعدها.

(3) المرجع السابق – صت 15.

دليل في هذا الشأن إحصاءات أبناء البلد نفسه حيث تشير إلى أن المسلمين يتفوقون عدداً وكلهم يتكلم العربية بجانب التجرينية بل إنها اللغة الرسمية بالاشتراك مع الأخيرة في إريتريا، وهذا ما تعلنه جبهة التحرير الإريترية[1].

ويكاد يكون واضحاً في تلك الإحصاءات والبيانات سواء وضعت عن قصد أو غيره مدى التجني على اللغة العربية وأصحابها اللذين كانت لهم قوة مرهوبة مسيطرة وهذا دليل على حقد دفين بتمويه الحقائق، والشئ نفسه يحدث حين تؤخذ إحصاءات المسلمين في إثيوبيا حيث تطغي نسبة النصارى رغم أن المنصفين يؤكدون خلاف ذلك.

وثمة شئ واحد نستطيع الرد به على نايدل هذا ربما حيث زل لسانه بالحقيقة دون أن يدري عندما يعود ويسطر جملة يقول فيها "فيما يشكل الإسلام وسيطرة اللغتين العربية والتجرينية عناصر توحيد بين السكان" [2] مما يوضح أنها الحقيقة.

وتشير معظم المصادر إلى انتشار الإسلام على الشريط الساحلي فقط إلا أنه أغلب الظن كان انتشارا مبدئياً أما الآن فقد دخل الإسلام معظم ربوع إريتريا وربما هذا يؤكد من مصدر محلي يقول: "وتحولت منطقة الشريط الساحلي إلى الإسلام في القرن الثامن الميلادي بينما ظلت المرتفعات الإريترية على دين النصرانية" منذ أن نشرها قرمنتيوس في القرن الرابع الميلادي ولا يزال سكان إريتريا يدينون بالإسلام والنصرانية كديانتين أساسيتين للشعب[3].

على أي حال رغم كل الإحصاءات الخاطئة فعدد سكان إريتريا الآن يتعدى ثلاثة ملايين أغلبهم مسلمين. وهم سنيون على المذهب السني ومنهم المالكي والشافعي والحنفي وتشيع بينهم بعض الطرق الدينية هي الصوفية

---

(1) كفاح إريتريا – مرجع سبق ذكره – صـ 196.

(2) س. ف. نايدل – مرجع سابق – صـ 76.

(3) Adolfo Rossi - L. Ertirea Comeoggi - Regina Roma 1894 - P.151.

والميرغنية والختمية ومركزها مصوع وكرن وهناك القادرية والإباضية، كما توجد الديانة الرئيسية الأخرى (النصرانية) حسب طقوس الكنيسة القبطية المصرية [1].

وقد استولى العثمانيون في سنة 1557 م / 964 هـ على جزيرة مصوع حرقيقو Harkiko أو Arkiko كإجراء وقائي ضد خطر تحالف الحبشة مع البرتغال، ولقطع أية اتصالات فيما بينهما، واستولى العثمانيون كذلك في العام التالي 1558م/ 965 هـ على دباروا Dabarowa عاصمة ميدري بحري حيث دخلت المنطقة كلها ضمن ما أسماه العثمانيون ولاية الحبش لأنها تُمثل مخارج بلاد الحبش[2].

وقد آلت تلك البلاد إلى مصر على مرتين الأولى : عندما كوفئ إبراهيم باشا بن محمد علي بعد نجاحه في الحجاز ونجد سنة 1818م/ 1254هـ والثانية بعد أن نجح محمد علي باشا في ضم سواكن ومصوع وملحقاتهما إلى الإدارة المصرية، وكانت مصر تدفع إيجاراً سنوياً مقداره / 25.000 جنيه نظير تلك الإدارة لهما [3].وفي عهد الخديو إسماعيل ألحقت المنطقتين لمصر بعد صدور فرمان عثماني لها بذلك في 15 من ذى الحجة 1281هـ / 12 من أبريل سنة 1865م[4].

الدوافع الاستعمارية الإيطالية

لا شك أن الاستعمار الإيطالي قد نزل ميدان الاستعمار متأخراً كثيراً عن أقرانه الأوربيين ففي الوقت الذي كانت فيه دولاً أخرى ربما لا تضاهيها من

---

(1) د. السيد حراز – مرجع سبق ذكره – صـ 10.

(2) د. السيد حراز – مرجع سبق ذكره – صـ 30.

(3) دار الوثائق بالقاهرة – فرمان رقم 913 – ديوان جلالة الملك – مجموعة الفرمانات الشهبانية – س/9/8/9 – سجل رقم 6 – 15 ذى الحجة 1281هـ / 12 إبريل سنة 1865م.

(4) دار الوثائق بالقاهرة – وثيقة رقم 405 – دفتر 408 صادر ديوان المعية – إرادة إلى مدير التاكة في 6 من ذى الحجة 1262 هـ / 25 من نوفمبر سنة 1846م.

حيث الإمكانات البشرية (ديموغرافية) وغيرها موقعاً وخلافه مثل بلجيكا والبرتغال بل وفرنسا تلك الدول التي كانت تدور في حلبة الصراع على خيرات المستعمرات التي جلبت منها العبيد والذهب والعاج ... الخ.

في حين تأخرت القوى الإيطالية عن هذا الميدان الذي لم يكن ينقصها فيه سوى شئ، واحد ألا وهو اتحاد الممالك الإيطالية المنقسمة والمتنازعة فيما بينها بل ولخضوع بعضها لسيطرة أجنبية فرنسية كانت أم أسبانية ونمساوية أيضاً كل ذلك جعلها في زيل الدول الاستعمارية Economic States.

ولذا نجد أن الوحدة الإيطالية ما لبثت أن قامت وتأسست المملكة الإيطالية عام 1861 (باستثناء روما والبندقية) حتى تبنى البارون ريكازولي Ricasoli والزعيم غاريبا لدى وبعض كبار الساسة الإيطالية مشروعاً لاحتلال شريط من الأرض على ساحل البحر الأحمر الأفريقي، وقدم بالفعل إلى مجلس النواب بتورين إلا أن مشكلات البلاد حالت دون المُضي قدماً فيه [1]. ربما لأن ساسة إيطاليا في ذلك الوقت كانوا يرون أن ميدان توسعهم الحقيقي كان حوض البحر المتوسط لا البحر الأحمر.

وظلت إيطاليا حتى قبل استكمال وحدتها تنظر بعين بصيرة إلى مناطق معينة تطمع في استعمارها حتى جاء الاتحاد عام 1861م /1277 هـ تحت تاج بيدمونت ونودى بالملك فيكتور عمانويل Victor Emmanuel ملكاً على إيطاليا الموحدة في فبراير عام 1861م / 1277 هـ [2]. وتلا ذلك

---

(1) د. السيد حراز – إريتريا الحديثة – صـ 78، 79.

(2) المرجع السابق – صـ 341.

استكمال وحدتها تحت زعامة بيت سافوي سنة 1870م / 1287 هـ حيث سعت لكي تتخذ لنفسها (مكاناً تحت الشمس) [1].

وقد بدأ الاستعمار الإيطالي بنشاط مجموعة من المنصرين في خلال الخمسينات والستينات من القرن التاسع عشر حيث كانت هناك مجموعتان تعملان في البحر الأحمر : المجموعة الأولى وعلى رأسها المبشر جيسبي سابيتو [2] Guiseppe Sapeto تعمل في الشمال بمنطقة بين كرن وعدوة غواندار والثانية وعلى رأسها المبشر لورنتز وماسيا Lorenzo Masaja تعمل في الجنوب بمملكة شوا الحبشية وبلاد الجالا. وكان سابيتو داعياً نشطاً للتوغل الأوربي في شرق إفريقيا وأسهم قبل الوحدة الإيطالية بدور ملحوظ في النشاط الفرنسي بتلك المنطقة. غير أن سابيتو الذي كان قد عاد إلى إيطاليا واستقر في جنوه كرّس جهوده بعد عام 1866م / 1283هـ لخدمة النفوذ الإيطالي في البحر الأحمر كما قدم فلورنسا حيث قابل الملك عمانويل ورئيس الوزراء وشرح لهما أراءه بخصوص أهمية حصول إيطاليا على ميناء في منطقة البحر الأحمر وقدم مذكرة اقترح فيها أن تضع إيطاليا يدها على ثغرخور عميرا Khor Omera، وفي 23 أكتوبر 1869م / 1286هـ عقد مؤتمر للغرف التجارية في جنوة Congresso delle camere commercia Italiane، لبحث ما يعود على إيطاليا من افتتاح قناة السويس فتقرر إنشاء محطة تجارية في أحد موانى البحر الأحمر [3]. وبدأ سابيتو متخلياً عن مهمته الأولى وهي التبشير

---

(1) د. محمود صالح المنسي – الحملة الإيطالية على ليبيا – دراسة وثائقية ط 1980 – صـ 22.

(2) الاسم الإيطالي Guiseppe ترجمته الصحيحة (جوزيف) وليس جيسبي وهذا بحسب النطق الصحيح.

(3) د. السيد حراز – إريتريا الحديثة – مرجع سبق ذكره – صـ 79، 80.

(التنصير) [1] إلى مهمته التجارية حيث اتصل برجل الأعمال رافايلي روباتينو Rafaele Rubbattino مدير شركة روباتينو للملاحة، وشجعه على إنشاء خط ملاحي بين جنوه ومواني الهند والصين عبر قناة السويس والبحر الأحمر. وكان على شركة روباتينو أن تسعى للحصول على أحد مواني البحر الأحمر للتزود بالفحم وخلافه من احتياجاتها. فكلف روباتينو – بعلم الحكومة الإيطالية – الأب سابيتو بالتوجه للبحر الأحمر للبحث عن بقعة تصلح لتأسيس محطة تجارية بالقرب من باب المندب وهي مهمة سرعان ما قام بها سابيتو برفقة الأميرال أكتون Acton.

وفي 15 نوفمبر 1869م / 1286هـ، أبرم سابيتو مع شيخين من مشايخ الدنا كل المحليين وهما حسن بن أحمد وإبراهيم بن أحمد اتفاقاً حصل بموجبه على قطعة أرض على خليج عصب بين جبل جانجا Ganga ورأس لوما Luma وذلك مقابل 8200 ريال نمساوي [2]، وكانت هذه القطعة بمثابة باكورة طمع إيطاليا في المنطقة استطاعت من خلالها التمسك بها والتذرع بامتلاكها وكما يقول المثل المصري (مسمار جحا). حينئذ كان روباتينو في اتصال مستمر مع الحكومة الإيطالية، واتفقوا معه على أن يتعهد باستخدامها للمصلحة القومية. وفي 11 مارس 1870م / 1286هـ أبرم سابيتو مع

---

(1) كانت هناك اتصالات سابقة في 1852م بين مقاطعة بيد مونت الإيطالية والحبشة على التعاون في مقابل تنازل نجوسي (نجاشي الحبشية) عن قطعة أرض بين خليج زولا وحنفلي إلى حكومة سردينيا ولكن موت نجوسي قد أوقف تلك الاتفاقات المبكرة :

أنظر : وثائق الخارجية للإيطالية – وثيقة من كافور رئيس الوزراء ووزير الخارجية إلى نيفرا الوزير المفوض في باريس – تورينو في 4 أبريل 1859، ورسالة من ملك إيطاليا فيكتور عمانويل الثاني إلى ملك الحبشة نيجوسي في 9 سبتمبر 1859م.

(2) د. حراز – المرجع السابق – صـ 81.

المشايخ عبدالله سحيم وحسن بن أحمد وإبراهيم بن أحمد اتفاقاً جديداً حصل بموجبه على قطعة أرض أخرى بين رأس لوما وخليج علالا وجبل جانجا ورفع في 13 مارس العلم الإيطالي على تلك البقعة من ساحل خليج عصب [1].

والذي يبدو جلياً من خلال الوثائق الإيطالية أن الفكرة كلها كانت من صنع سابيتو خاصة في هذه المنطقة حيث تدل إحدى هذه الوثائق بما تحويه (وكلف بهذه المهمة البروفسور جوزيف سابيتو صاحب الاقتراح وفتحت له الحكومة اعتماداً قدرة 80 ألف ليرة [2]. كما يظهر من تلك الوثيقة (الرسالة) مدى تردد الإدارة الإيطالية ومدى جهلها بتلك المنطقة حيث تشير فيها إلى ضرورة استقصاء الأمر وعهد بذلك إلى اللواء البحري أكتون Acton، على أنه في حالة عدم ملاءمة المكان يُستقصى في شواطئ البحر الأحمر عن أصلح مكان للغاية المرجوة.

وصدرت الأوامر من أكتون إلى سابيتو بالإبحار فوراً بتاريخ أقصاه 12 فبراير 1870م / 1286هـ، بعد أن خصصوا له مركباً تحت تصرفه ومبلغ 55 ألف ليرة[3] لمواجهة نفقات الرحلة، وكان من ضمن الأوامر محاولة شراء أكبر مساحة من الأرض، حتى خليج عصب بكامله إن كان الأمر ممكناً حينئذ أرسلت السفينة البحرية "فيديتا" لمساعدته[4].

---

(1) د. السيد حراز – المرجع السابق – صـ 82.

(2) وثائق الخارجية الإيطالية – رسالة بدون رقم فلورنسا في 1 أكتوبر 1869 من ريبوتي وزير البحرية الإيطالية إلى القائد البحري أكتون.

(3) الذي يبدو من المبالغ المذكورة في الوثائق تفاهة لاندري مدى صحتها فمبلغ 55 ألف ليرة لا يعادل 40 جنيهاً مصرياً ومن غير المعقول مبلغ بسيط كهذا يكفي لهذا المقابل وكذلك جميع المبالغ المذكورة الأخرى كلها على النمط نفسه.

(4) وثائق الخارجية الإيطالية – رسالة بدون رقم فلورنسا في 8 فبراير 1870 من أكتون إلى سابيتو.

والذي يبدو ويظهر جلياً لأي باحث مدى تفاهة وحقارة المبالغ المدفوعة في أراضي شاسعة كهذه وأن من كانوا يسمون أنفسهم بسلاطين كانوا لا يعيرون أدنى اهتمام أو مجرد تفكير في المستقبل القريب عما يَجُّره عليهم هذا التصرف البعيد كل البعد عمن يتحملون المسئولية من ضرر لبلادهم وأمتهم. ويبدو أن نظرتهم كانت لتلك الأراضي بأنها خاوية لا يُنتفع بها فأي مبلغ يُدفع فيها فهو أفضل لهم وهذه نظرة يملأها الجهل بالمستقبل والمصالح الوطنية لهم.

وبدأت إيطاليا بعد ذلك خطوة جريئة تستفيد منها في اتجاهين (حين أرسلت الجمعية الجغرافية الإيطالية إبتداءاً من عام 1874م / 1290هـ). **فالاتجاه الأول:** هو جمع المعلومات والبيانات الصحيحة ودراسة أوضاع المنطقة حتى يتسنى لهم استغلالها أفضل استغلال يرجع بالفائدة على إيطاليا.

الاتجاه الثاني : إضفاء الصبغة العلمية على مناوراتهم ثم إرسال القطع الحربية متذرعين بحماية ومساعدة تلك اللجان العلمية والجغرافية.

فنجد في إحدى الرسائل الوثائقية [1]، بيان عن استعداد تلك الجمعية منذ عام 1874م / 1290 هـ، للقيام بمهمتها وكانت البعثة الأولى على رأسها المركيز انطنيوري، المهندس كياريني، الكابتن مارتيني وكان هدفها هو شق طريقها إلى مملكة شوا عبر صحراء هرر والوصول إلى الضفة الجنوبية للأمهرا الحبشية، وتحاول الوصول إلى بحيرة فيكتوريا عبر بلاد الجالا. كما تدلنا الوثيقة نفسها على وجود ما يشبه جواسيس عند ملك الحبشة تسهل عملية انتقال الإيطاليين ومصالحهم حيث يذكر كورنتي [2]. أن في مملكة شوا يعيش منذ سنوات الأسقف الإيطالي ماساجا في هذه البلاد، واكتسب حظوة كبيرة عند الناس وعند الملك نفسه وهو يرغب ويعمل بحماسة لتسهيل مهمة بعثتنا وخدمة

---

(1) وثائق الخارجية الإيطالية – رسالة بدون رقم روما في 8 إبريل 1978م من كورنتي إلى كايرولي.

(2) رئيس الجمعية الجغرافية الإيطالية.

المدنية والعلم[1]، وهذه هي زريعتهم التي قصدوا منها إرسال البعثة العلمية إلى هناك. ومما يجدر ملاحظته أن مشايخ القبائل أخذوا يستنكرون ما حدث من اتفاقيات بين من يسمون أنفسهم بسلاطين وبين الإيطاليين، حتى هؤلاء السلاطين بعد أن فطنوا إلى جُرم ما اقترفوه تجاه بلادهم بدأوا يتنكرون لما حدث ويتنصلون عما اقترفت أيديهم.

فعندما علم الشيخ أبو بكر إبراهيم شحيم حاكم زيلع بأمر الصفقة التي أبرمها سابيتو مع مشايخ عصب الدناكل أوغر إلى الشيخ برهان محمد (سلطان رهبطة وتوابعها) بالتوجه إلى عصب للاحتجاج على تلك الصفقة وليبلغ "النصراني" سابيتو بأن الأراضي التي اشتراها خاضعة للسلطان العثماني وليس لأحد سلطة عليها أو حق التصرف فيها،وبالفعل توجه الشيخ برهان إلي سابيتو وطلب منه الإخلاء بعد أن رفض إمداده بالماء فاضطر سابيتو إلى أن يشد رحاله إلى إيطاليا على ظهر الباخرة إفريقية[2].

في تلك الأثناء كانت الرسائل الودية تتبادل بين ملك إيطاليا عمانويل ثم إمبرتوا الأول مع مينليك الثاني ملك شوا الذي بادر بدوره بمساعدة البعثات التي كانت ترسلها الحكومة الإيطالية بحجة خدمة الميدان العلمي، وعلى جانب آخر كان مينليك الثاني يطمع في مساعدته ضد أعدائه في المنطقة من ناحية ونقل التكنولوجيا إليه من جهة أخرى.

---

(1) الرسالة السابقة.

(2) د. السيد حراز – المرجع السابق – صـ 82، 83.

ويبدو من الرسائل المتبادلة بين الملكين مدى النفاق بينهما وتودد ملك إيطاليا إليه طمعاً في مساعدة عملائه الذين يتوافدون على المنطقة بحجج متعددة ورافقت الرسائل هدايا متبادلة تعبيراً عن الصدق المزيف[1].

وتوضح بعض الوثائق الأخرى أن الإيطاليين كانوا يطمعون منذ ذلك الوقت المبكر في مملكة شوا حيث تدل الرسائل المتبادلة بين وزير الخارجية ووزير البحرية اهتمامهم الشديد بمملكة شوا وما تنقله من موارد وطرق سهله يمكن لهم الوصول إليها.. [2]. ربما كان ذلك من بين الدوافع التي جعلت هناك تقارباً وتوداً بين ملكي إيطاليا ومملكة شوا التي كانت بها تعقيدات على نظام تولي الحكم والمنافسة على المملكة، وربما كان منليك الثاني يطمع في مساعدة إيطاليا بالأسلحة خاصة النارية للاستعانة بها ضد خصومه في إثيوبيا.

في الوقت نفسه كانت بريطانيا تنظر بشيء من التحفظ للتحركات الإيطالية في المنطقة ولكنها أرسلت السفينة "سي غول" التابعة للأسطول البريطاني للبحث والتقصي[3] في الأمر لعرضه على الحكومة الانجليزية. أما ردود الفعل بين الوطنيين فيمكن لنا أن نسجل تناقضاً في ردود الفعل بين أبناء البلاد أنفسهم تجاه التحركات الإيطالية، ففي حين أشرنا إلى تذمر البعض مثل الشيخ أبو بكر إبراهيم شحيم حاكم زيلع وطرده سابيتو المبشر الإيطالي من عصب

---

(1) وثائق الخارجية الإيطالية – رسالة ملكية روما في 9 مارس 1879 من أومبرتو الأول إلى منليك الثاني.

(2) وثائق الخارجية الإيطالية – مفكرة 74 – سجل مصر – سري جداً – روما في 9 أكتوبر 1879 من كايرولي إلى بوناللي.

(3) وثائق الخارجية الإيطالية – تقرير 130 وثيقة 4389 عدن في 9 نوفمبر 1879 من ج – بننيفلد رولف إلى كايرولي.

واضطراره للرحيل مؤقتاً إلا أننا نجد ترحيب الكثيرين ممن دفع لهم سابيتو. وهنا تجدر الإشارة إلى سلطان عصب وموقفه خاصة في الرسالة الطويلة التي بعث بها ده امتيزاغا قائد السفينة الإيطالية "السبلوراتوره إلى وزير خارجيته ما يلي نصفه: "بعد أن بدأت عملية تفريغ أدوات المؤسسة التجارية الإيطالية في عصب صباح السادس والعشرين من ديسمبر 1879م / 1297هـ، وفي اليوم نفسه توجه البروفسوران سابيتو وبيكاري إلى مارغابله مقر سلطان عصب السابق حيث استقبلهما السلطان مرحباً بهما وفي السابع والعشرين التقيت زعيم القبيلة المذكورة على اليابسة فأبلغني عن طريق سابيتو أن يمكن الصداقة للشعب الإيطالي وأنه قد باعه ملكية عصب والسيادة عليها وهو يعتمد على حماية حكومتنا الدائمة ضد معاكسات المصريين المحكمة، كما يذكر أنهم أعداء الدناكل وأنه على استعداد لأن يقدم للإيطاليين الغذاء وسائر ما يحتاجون إليه"[1]. وهذا لا يدل إلا على مدى التخبط في الموالاه جزء للمستعمر وآخر يوالي المصريين والجزء الآخر للحبشة مما يبرز التفكك الذي يقال بصراحة على تلك الأمم التي تترك للمستعمر الثغرات ليدخل منها مستغلاً اختلاف الوجهات والمقاصد.

(1)وثائق الخارجية الإيطالية – وثيقة – تقرير 1 – سري – أرشيف 322 عدن في 3 يناير 1880 من ده إميتزاغا إلى كايرولي.

الموقف المصري والانجليزي

لم يكن ما فعله سابيتو في عصب افتئاتاً على حقوق السيادة العثمانية فحسب بل افتئاتاً كذلك على حقوق مصر عليها المستمدة من الفرمانات السلطانية ومعطلاً لمصالحها وسياستها في البحر الأحمر والسودان الشرقي ولكننا نرى أن الموقف المصري اتخذ موقف الاحتجاج الذي ما يزال حتى الآن ولا نحصد منه جدوى تذكر.

فقد كان الأسطول المصري بقيادة جمالي بك يجوب البحر الأحمر عندما وصل إلى بربرة بصحبة محافظ مصوع علاء الدين.

وعندما علم بما حدث كتب إلى جعفر مظهر باشا حكمدار السودان بهذا الشأن فأرسل الأخير بدوره تقريراً عن الموقف إلى حكومة القاهرة التي أبرقت إلى محافظ مصوع بالتحري والبحث عن نزول الإيطاليين في عصب فما كان من علاء الدين باشا إلا أن أرسل اثنين من ضباط أركان الحرب وهما البكباشي عبدالله فوزي واليوزباشي مصطفى رمزي إلى جهة عصب لتحقيق المسألة بطريقة سرية.

ويقول الدكتور حراز أنه كان في نية جعفر مظهر إرسال مأمور مع بعض خفر السواحل ليطلب من المستعمرين الجدد تفسيراً عن نزولهم بتلك الجهة فقد فضلت مصر حلها بالطرق الدبلوماسية[1].

إذ أن حكمدار السودان (جعفر مظهر باشا) كان ينوي إرسال أحد نواب حرقيقو مع أحد الضباط والمعاونين إلى بندر رهيطة – في محاولة منه لتحريك المياه الراكدة من جانب الحكومة المصرية – ولكن الأمر لم يتم إذ فوجئ الحكمدار – كما تحدثنا الوثائق – بوصول برقية له من الخديو إسماعيل تمنعه من المضي قدماً في خطته. جاء في أمر الخديو إلى حكمدار السودان ما يلي نصه :

---

(1) د. السيد حراز – المرجع السابق – صـ 83، 84.

".... بعدم إرسال أحد مطلقاً إلى الجهة المذكورة (رهيطة) سواء من طرفكم أو من طرف محافظ مصوع بأي وجه كان"[1].

كل هذه الإجراءات والاتصالات دون اتخاذ موقف سريع حاسم، ثم نجد بعد ذلك موقف الحكومة المصرية غاية في الضعف حيث أبلغ شريف باشا وزير الخارجية المصرية دي مارتينو بأن الخديوي في غاية الألم والدهشة من "احتلال" الإيطاليين لعصب وأنه قد كلفه بالاحتجاج على هذا التعدي الواضح على سلامة الأراضي المصرية[2].

ولنا أن نتساءل أي ألم وأي دهشة تصلح في تلك الأمور الحساسة وبماذا يُجدي الاحتجاج مع مستعمر طامع في أن يكون رد الفعل هو الاحتجاج وهذا غاية ما يتمناه، فلا نستطيع إبراء ذمة الحكومة المصرية من هذا التراخي فلم تكن الثورة المهدية قد اندلعت بعد ولم تكن مصر قد تأثرت كثيراً بالسيطرة البريطانية.

جاء السلوك الحميد من محافظ مصوع علاء الدين الذي أرسل الباخرة (الخرطوم) تقل جنوداً إلى عصب، وأخذ في البحث عن مشايخ الدناكل الذين تعاقدوا مع سابيتو، ثم اقتحم الكوخ الخشبي الذي كان قد أقامه سابيتو، فأنزل العلم الإيطالي وترك في حراسة المكان بعض الجند المدججين بالسلاح.

نعتقد أن هذا هو العمل الذي كان مفروضاً عمله وعلى مستوى أكبر، ولكن الغريب هو الاحتجاج الإيطالي شديد اللهجة الأغرب فعلاً هو رد شريف باشا حيث أجاب على الاحتجاج : أن الحكومة الخديوية لم تصدر أية أوامر إلى محافظ مصوع بالتصرف بمثل ما جاء في مذكرة وزير الخارجية الإيطالية، ثم الأشد غرابة هو اعتذار الخديوي إسماعيل نفسه إلى الحكومة الإيطالية، ولو أنه استنكر (دون فائدة) احتلال إيطاليا لساحل عصب[3]، وثمة موقف آخر بسيط له دلالته عندما استاء جنود البحرية المصرية بالقصير من التصرفات الإيطالية في

---

(1) دار الوثائق القومية بالقاهرة – وثيقة رقم 78 ص 9 – دفتر رقم 9 عابدين – صادر تلغرافات – صورة التلغراف العربي من الخديو إسماعيل إلى حكمدار السودان – بتاريخ 7 صفر سنة 1287 هـ / 9 مايو سنة 1870م.

(2) د. السيد حراز – المرجع السابق – صـ 85.

(3) المرجع السابق – صت 87، 88.

عصب فتحركت إحدى السفن المصرية من القصير إلى عصب، وهناك أهان الجنود العلم الإيطالي المرفوع بدهسه بأقدامهم فأرسلت الحكومة الإيطالية بشكواها إلى شريف باشا، إلا أن الحكومة المصرية أمرت بنفي الخبر جملة وتفصيلاً[1].

ولم تجد السياسة المصرية نفعاً (بالاحتجاج والدهشة) اللهم إلا تأخير التحرك الاستعماري الإيطالي العملي لتأسيس مستعمرة في عصب بضع سنوات بلغت تسعاً تقريباً، حيث امتنع الطرفان المصري والإيطالي عن الإتيان بأي إجراء في مسألة عصب، وتحركت مصر بشكل طبعي في المنطقة من تعيينها للشيوخ وتحركات سفنها[2] ... الخ.

ونستعرض في اختصار الموقف الانجليزي قبل أن يتغير فقد ظهر موقف الانجليز في حذر شديد وترقب عندما اتصل لوك حاكم عدن (بالجدية التي يتميز بها الموظف البريطاني) حيث طلب من ده إميتزاغا تعليق أية عمليات مكلف بها لأنه بانتظار إرشادات من حكومته ولكن إمتيزاغا تعلل بأن الأوامر الصادرة إليه من حكومته تقضي بحماية مركز روباتينو في عصب ولا تنطوي على احتلال[3].

ثم كان موقف لوك الثاني عندما شدّد على إميتزاغا قائد "اسبلوراتوره" بالتوقف عن القيام بأي نشاط في هذا السبيل حتى يتبلغ معلومات من حكومته شارحاً وموضحاً أن ممتلكات الحكومة المصرية تمتد على ساحل البحر الأحمر وأن هذا الساحل واقع تحت إشراف غور دون باشا المباشر – المعتمد لدى هذا المقر، ويقول لوك : "ولا يسعني الاعتراف إلا بسلطته تحت رعاية الحكومة المصرية".

---

(1) دار الوثائق القومية بالقاهرة – وثيقة رقم 363 – محفظة 47 معية تركي – من ناظر الجهادية إلى المعية – بتاريخ 12 ربيع الآخر سنة 1287 هـ / 12 يوليو سنة 1870م.

(2) د. جلال يحيى – مصر الأفريقية – صـ 131.

(3) وثائق الخارجية الإيطالية – تقرير – 3 – سري – عدن في 9 يناير 1880 من ده إمتيزاغا إلى كايرولي.

ويذكر بالحرف الواحد : "جئت أبلغك أنني ملزم في الوقت الحاضر بسحب موافقتي على الإجراءات التي تقومون بها وعلى استخدامكم ميناء عدن لمتابعة مساع تبدو في نظري مسيئة إلى مصالح دولة تربطها اتفاقية صداقة بحكومة صاحبة الجلالة البريطانية" [1]. وربما نجد أن هذا الموقف كان أكثر جدية من الموقف المصري الذي أقتصر على الاحتجاج والألم والدهشة اللذان لا يجديان في مثل تلك الظروف.

كما تدلنا رسالة سرية أخرى من السفير البريطاني في روما إلى أمين وزارة الخارجية الإيطالية يؤكد فيها ملكية مصر لخليج عصب [2]. ورسالة أخرى يبدي فيها الأخير أسفه لأن اللورد سالسيوري يعتبر أن خليج عصب هو ملك مصر مهما كانت الآراء الصادرة بهذا الشأن قبل سنة 1870م / 1287 هـ[3].

تطور الأحداث

بدأ الموقف الإيطالي بأخذ شكلاً آخر ويكشف عن بعض مختططاته تلقائياً منذ إبريل 1871م / 1288هـ، حين طرح في مجلس الشيوخ مسألة عصب على بساط البحث، وتقرر أن "مستعمرة عصب في حاجة إلى تنظيم

---

(1) وثائق الخارجية الإيطالية - ملحق رقم 1 – مذكرة 6 عدن في 3 يناير 1870 من لوك المقيم السياسي الإنجليزي إلى ده إمتيزاغا.

(2) وثائق الخارجية الإيطالية - رسالة سرية – روما في 10 يناير 1870 من باجيت إلى مافي.

(3) وثائق الخارجية الإيطالية - رسالة سرية – روما في 12 يناير 1870 من مافي إلى باجيت.

عملي ونهائي وظهرت الحكومة الإيطالية بنظرية جديدة من شأنها إبطال حقوق السيادة المصرية على ساحل خليج عصب. كلف نيسكوفتي وزير الخارجية الإيطالية دي مارتنيو بإبلاغ الحكومة المصرية بأن قائمقامية مصوع التي امتلكها والي مصر بموجب الفرمانات السلطانية لم تكن تمتد على الإطلاق جنوب الخط الخامس عشر من خطوط العرض الشمالية، ومعنى ذلك أن منطقة عصب لا تدخل ضمن الممتلكات المصرية على ساحل البحر الأحمر الغربي، ولا محل إذن لاعتراض حكومة القاهرة على إنشاء محطة تجارية إيطالية هناك [1]، وعلى إثر ذلك أرسلت الحكومة المصرية تستفسر من محافظها على سواحل البحر الأحمر الذي أجاب: "أنه بالاطلاع على ما ورد من الحكمدارية يُستدل أن رهيطة من ضمن الجهات التي ألحقت بالحكومة الخديوية، وأنها مسجلة ضمن حدود محافظة مصوع بمحكمة عموم الخرطوم[2].

ربما شجعها على ذلك إصدار شريف باشا أوامره إلى محافظ مصوع بسحب "الحامية المصرية الصغيرة" المرابطة في عصب وحين نقل القنصل الإيطالي إلى حكومته في 24 نوفمبر قائلاً : "أن الحكومة المصرية قد بادرت بالاستجابة إلى مطالب إيطالية وقضت على كل اثر "للاحتلال المصري في عصب"[3].

تطورت الأحداث بحدث هام خطير حيث عمدت الحكومة الإيطالية إلى تعيين برانكي Branchi قوميسييراً مدنياً Commissariocivile في

---

(1) د. السيد حراز – مرجع سبق ذكره – صـ 89.

(2) دار الوثائق القومية بالقاهرة – وثيقة رقم 6 ص 51 – دفتر 1847 معية من محافظ سواحل البحر الأحمر إلى المعية السنية – بتاريخ 9 رجب 1287 هـ / 5 أكتوبر 1870م.

(3) المرجع السابق – صـ 88.

عصب – رغم أنها لم تكن بعد قد وضعت يدها رسمياً على ساحل عصب، وطبقاً للمعلومات التي أدلى بها القنصل الإيطالي في عدن للحاكم البريطاني هناك فإن الحكومة الإيطالية قد عينت برانكي قوميسيراً مدنياً في عصب بسبب مرض سابيتو بعد عودته إلى إيطاليا، وأن القوميسير المدني ليس إلا حاكماً ونقل حاكم عدن إلى الحكومة البريطانية ملاحظاً أن التصرف الإيطالي إنما يؤكد رأي حكومة عدن والذي أعلنته في مناسبات عدة وهو أن احتلال عصب كان منذ البداية مشروعاً مرتبطاً بالحكومة الإيطالية وأن اسم شركة روباتينو قد استخدم فقط للتعمية ولتغطية مخططات الحكومة الإيطالية [1]. ومع تطور الأحداث تشجعت إيطاليا في المضي قدماً لجعل عملها أكثر أهمية وذلك بعد تقرير تلقته الحكومة الإيطالية من مارتينو المفوض السياسي في مصر يبين فيه ضمن استنتاجاته أن الحكومة المصرية لن تتقدم بعد بأي ادعاء (تملك) على تلك الأراضي وأنها تنسحب من الحلبة لأن انجلترا لم تعد تدفعها وتدعمها[2].

تغيير السياسة البريطانية :

يبدو أن السياسة البريطانية قد دخلتها بعض التعديلات خاصة بعد تولي جرانفيل مكان سولسيري ولم يعد ينزعج من الأنباء الواردة إلى لندن عن نشاط الإيطاليين في عصب، رغم أنه كان في بداية توليه الخارجية يتمشى

---

(1) د. السيد حراز – مرجع سابق – صـ 127، 128.

(2) وثائق الخارجية الإيطالية – وثيقة – 739 القاهرة في 25 يناير 1881 من مارتينو إلى كايرولي.

وسياسة سلفه سولسبري ويؤكد ما أعلنته الخارجية البريطانية سابقاً وهذا ما تؤكده رسالته إلى القائم بالأعمال لدى السفارة في لندن [1]. إلا أن هذه السياسة دخلها شئ من التغيير خاصة بعد تولي وزارة الأحرار وظهور بوادر انقسام في الرأي حول النشاط الإيطالي في البحر الأحمر وظهر ذلك واضحاً فيما كتبه جرانفيل نفسه .. (أنني لا أخشى من هذه المنشأة في خليج عصب رغم أن الإيطاليين يخادعون كثيراً بشأنها أنني أعتقد أنه من الأفضل أن نتركهم وحدهم بدلاً من أن نحاول أن نقلب ترتيباتهم رأساً على عقب إذ لن نلبث أن نرى الفرنسيين هنالك والساحل مفتوح لكل أوربا) [2].كان جرانفيل وزير الخارجية البريطاني يرى أنه من الأفضل ترك إيطاليا تمضي قدماً في مشروعها ويفضلها على فرنسا بدلاً من أن تنزل الأخيرة إلى ميدان البحر الأحمر الشيء الثاني يبدو أن وزارة الأحرار بخلاف المحافظين تميل إلى التقليل من أهمية البحر الأحمر باعتباره طريقاً مؤدياً إلى الشرق ولهذا طرح جرانفيل جانباً وسائل مقاومة إيطاليا [3]. ولو أني أختلف مع الدكتور حراز في النقطة الثانية لأن بريطانيا كانت اهتماماتها بالشرق إلى أبعد الحدود ربما يؤكد ذلك احتلالها بعد ذلك لمصر بالإضافة إلى طرق التجارة إلى مستعمراتها في الهند واتفق معه في الرأي الأول على أساس تفضيل إيطاليا عن دخول فرنسا ميدان ساحل البحر الأحمر.

اتفاقية عصب المقترحة :

حاولت إيطاليا جذب رضاء بريطانيا للموافقة على عقد معاهدة إيطالية مصرية بشأن عصب وأبدت الأولى استعدادها لقبول أية شروط ما عدا التخلي

---

(1) وثائق الخارجية الإيطالية – رسالة سرية لندن في 26 يناير 1881 من غرانفيل إلى رسمان.

(2) د. السيد حراز – المرجع السابق – صـ 137، 138.

(3) المرجع نفسه – صـ 138.

عن عصب، وبعد استشارة جرانفيل اقترح عرض الأمر على الحكومتين العثمانية والمصرية، ورحبت روما باقتراح جرانفيل الذي وافق بدوره على مطلبها بوضع مسودة للاتفاقية. وكان فيها اعتراف الخديو بما حصلت إيطاليا عليه من أراضي في عصب والتنازل عن دعاواه بشأنها وتحديد مساحتها، وقد وافقت بريطانيا عليها وأرسل اللورد جرانفيل نسخة من الاتفاقية المقترحة إلى الحكومتين العثمانية والمصرية، وفي هذا الوقت كما يبدو أن السلطان العثماني كان يميل إلى إقرار الاتفاقية بينما كان من المأمول أن يحذو الخديو حذوه ولكن في ديسمبر 1881م / 1299هـ، أرسل وزير الخارجية المصرية إلى السير أدوارد مالت القنصل البريطاني في مصر "مذكرة سرية" أوضح فيها أن الخديو يرفض الاتفاقية، ولو أنه شديد الرغبة في أن يعقد مع شركة روباتينو اتفاقية يمنحها بموجبها أراضي عصب وامتيازات تجارية بينما يحتفظ لنفسه بالسيادة على المنطقة بأكملها[1].

عصب مستعمرة إيطالية

أخذت مسألة الموافقة على اتفاقية عصب جدلاً كثيراً يمكن اختصاره في مجموعة نقاط:

1) الحكومة العثمانية (الباب العالي) لا تمانع وتترك الرد الحاسم للحكومة المصرية.
2) الحكومة المصرية.

يبدو أن الخديو كان موافقاً يؤازره بعض من يدورون في فلكه، ولكن الوثائق التي بين أيدينا تظهر أن المعارض الأول هو أحمد عرابي باشا الذي ألح على الخديو لطرد الإيطاليين بالقوة، ولما جادله الخديو بعدم إمكانية ذلك لضعف البحرية المصرية وعدم مجابهة العسكرية الإيطالية رد عرابي بأنه يستطيع ردم قناة السويس

(1) د. حراز – مرجع سابق – صـ 143، 144.

لمنع عبور القوات الإيطالية فأجابه الخديو بأن السفن يمكنها العبور عن طريق رأس الرجاء الصالح [1]. ويُعد اقتراح أحمد عرابي غريب في بابه نظرا لأنه هدم لمشروع ضخم استمر إنشاؤه سنوات طويلة، وكان الأجدر به أن يوقف كتيبة أو حتى سرية صغيرة على شاطئ قناة السويس تكفي في اعتقادي لمنع أية سفينة أو أسطول لعبور القناة. ومع ذلك فحين اجتمع مجلس الوزراء العثماني في الآستانة لبحث مسألة عصب وأصدر قراراً "بأن اتفاقية عصب المقترحة يجب أن تقبل من جانب مصر إلا أن الباب العالي لا يستطيع أن يفرضها على الخديو فرضاً" [2]. حينئذ اجتمعت الحكومة المصرية ورفضت رفضاً قاطعاً اتفاقية عصب المقترحة، وحين علمت روما أنباء رفض مصر النهائي أسرع مانشيني في مارس 1882م / 1300هـ، بتدبيج مذكرة مهمة نسخة منها للسفير الإيطالي في الآستانة، ووكيل إيطاليا السياسي في القاهرة، كشف فيها النقاب عن حقيقة نوايا إيطاليا في ساحل البحر الأحمر الغربي وفند فيها آراءه مستشهداً بأقوال الرحالين والمعاصرين من أن النفوذ العثماني المصري على ساحل البحر الأحمر لم يتعد جزيرة مصوع جنوباً، كما أشار إلى أن النفوذ العثماني في جزيرة مصوع نفسها كان في معظم الوقت نفوذاً اسمياً وليس حقيقياً، وعلى ذلك في الوقت الذي أُرسلت فيه المذكرة الإيطالية إلى كل من الآستانة والقاهرة في مارس 1882م / 1300هـ، قامت بعقد اتفاق مع شركة روباتينو تنازلت هذه بموجبه للحكومة عن "حقوقها" المزعومة في ساحل خليج عصب مقابل 416 ألف ليرة [3] أو 417 ألف ليرة [4] تسددها الحكومة للشركة على ثلاثة أقساط ثم

---

(1) وثائق الخارجية الإيطالية – وثيقة 861 – (أ – 1211). القاهرة 2 أبريل 1882 من دي مارتينو إلى مانشيني.

(2) د. السيد حراز – المرجع السابق – صـ 146.

(3) د. شوقي الجمل – تاريخ كشف أفريقيا واستعمارها – الأنجلو المصرية – ط2 – القاهرة – 1980 – صـ 325.

(4) د. حراز – الأصول التاريخية – للمشكلة الإريترية – معهد البحوث والدراسات العربية – 1977م – القاهرة – صـ 27.

حصلت الحكومة في 5 يوليه 1882 / 1300هـ، على موافقة مجلس النواب على اتفاقها مع الشركة فانتقلت "ملكية" عصب من شركة روباتينو إلى الدولة وأصدر مجلس النواب في التاريخ نفسه قانوناً بتحويل عصب إلى مستعمرة ملكية أطلق عليها مستعمرة عصب Colonia di Assab.تشجعت الحكومة الإيطالية بتأييد بريطانيا لها وأسرعت بنشر الوثائق الخاصة باحتلال عصب، وتقدمت لمجلس النواب بمشروع قانون لتنظيم هذه المستعمرة، وأقر البرلمان هذا المشروع في 5 يوليو 1882م / 1300 هـ، وقد نص على:

1) **مادة أولى** : إنشاء مستعمرة إيطالية على الساحل الغربي للبحر الأحمر في أراضي عصب تحت السيادة الإيطالية.
2) **مادة ثانية** : تصدر الحكومة مرسومات ملكية وزارية بالتنظيمات الإدارية والتشريعية والمالية فيها مع ضرورة التوفيق بين هذه التشريعات والنظم والأحوال المحلية.
3) **مادة ثالثة** : تخضع المستعمرة لإدارة وزارة الخارجية في روما.
4) **مادة رابعة** : إقرار بسريان الاتفاقية المعقودة 10 مارس **(1882)**.

بين الحكومة الإيطالية وشركة (روباتينو) والتي تنازلت بموجبها هذه الشركة عن حقوق ملكيتها للحكومة وتُنظم بموجب ذلك الاتفاقية المالية التي تخص شراء وإنشاء المؤسسة الاقتصادية في عصب [1]. ويعتبر يوم 5 يوليو 1882م / 1300هـ ميلاد إمبراطورية إيطاليا الاستعمارية عبر البحار. فلم تكد إيطاليا تثبت أقدامها في عصب حتى أسرعت بمد سلطانها شمالاً وجنوباً فانتهزت

---

(1) د. شوقي الجمل – مرجع سابق – صـ 348، د. جلال يحيى – مصر الإفريقية والأطما ع الاستعمارية في القرن التاسع عشر – دار المعارف – 1967م – صـ 291، 292.

فرصة انسحاب المصريين من (بيلول) وأرسلت فرقة من رجال البحرية الإيطالية احتلتها في 25 يناير (1885) متذرعة بأن الفوضى التي أصبحت تضرب أطنابها في بيلول تهدد وضع إيطاليا في عصب مما يستلزم التدخل لوضع حد لهذه الاضطرابات وهذه وتلك ذرائع للانتقام من أهل بيلول على المذبحة التي حدثت للإيطاليين فيها. كما عمد الإيطاليون إلى تأمين سلامة مستعمرتهم في عصب، وتوفير أسباب بقائها وازدهارها، وذلك بربطها تجارياً مع المناطق الداخلية، فأرسلت البعثات الكشفية من عصب إلى هضاب الحبشة الشرقية عبر بلاد الدناكل بقصد دراسة إمكانيات هذه البلاد والبحث عن طرق تجارية تربط هضبة الحبشة بمواني ساحل البحر الأحمر الإفريقي وعلى الخصوص ثغر عصب، وأنشأت العلاقات التجارية والسياسية مع الإمارات والقبائل المجاورة ولا سيما سلطنة أوسة ببلاد الدناكل ومملكة شوا الحبشية [1]. وبدأت بذلك تدلي بدلوها في الميدان الاستعماري وتنعم بمكانها تحت الشمس الذي كانت تأمله.

خاتمة البحث :

لإبراز النتائج التي تعرض لها البحث بالدراسة والتحليل تجدر بنا الإشارة إلى مجموعة حقائق تضمنها البحث وكشف النقاب عنها وهي :

أولاً : أن إيطاليا لم تكد تتوحد وتلملم فرقتها في سنة 1861م تحت تاج بيدموند (باستثناء روما والبندقية) حتى تبنى البارون ريكازولي Ricasoli

(1) د. حراز – الأصول التاريخية للمشكلة الإريترية – مرجع سبق ذكره – صـ 28.

والزعيم غاريبالدي Garibaldy ومعها مجموعة من الساسة الإيطاليين مشروعا استعماريا للحاق بركب الأمم الاستعمارية، فاتجهت أنظارهم إلى شريط على ساحل البحر الأحمر الغربي الإفريقي ولكن المشكلات السياسية وغيرها حالت دون المضي قدما.

وبعد استكمال الوحدة تحت قيادة بيت سافوي سنة 1870م نشطت لتتخذ لنفسها مكانا تحت الشمس.

ثانياً : تحمل المبشر (المنصر) جوزيف سابيتو Guiseppe Sabito عبء التجهيز لقدوم الإيطاليين إلى المنطقة وإمدادهم بالمعلومات، بل وتنفيذ الإجراءات الأولى التي ساعدت على احتلالهم لمنطقة عصب.

ثالثاً : كان من بين العوامل التي مهدت للعمل الإيطالي في عصب : جهل المشايخ والحكام المحليين بالأمور السياسية والاستراتيجية والألاعيب الاستعمارية التي أدت في النهاية إلى سيطرة الإيطاليين على بلادهم. بالإضافة إلى اختلاف مشارب هؤلاء الشيوخ الذين كانوا يسمون أنفسهم بالسلاطين فبعضهم اتجه بولائه لمصر صاحبة السيطرة الأصلية، والبعض الآخر للدولة العثمانية صاحبة السيادة الاسمية، بينما اتجه البعض الثالث بولائه ناحية الإيطاليين (الطامعين في المنطقة كلها). ويمكننا إضافة بُعد آخر وهو : الضعف الذي كان قد بدأ ينخر في عظام الحكومة المصرية بعد الديون التي كبلها بها الخديوي إسماعيل فضعفت قبضتها على ممتلكاتها الإفريقية.

وأخيراً : يمكننا أن نقرر أن تغير السياسة البريطانية من معارضين للإيطاليين إلى تفضيلهم على الفرنسيين الذين كانوا يرنون بأبصارهم نحو المنطقة هم الآخرون، وربما يأتي في مؤخرة العوامل :

استخدام الإيطاليين لحجج وذرائع شهيرة حينئذ حيث تذرعوا بفتح طرق التجارة وإضفاء الصبغة العلمية على مناوراتهم وأنه يجب حماية اللجان العلمية والجغرافية التي تعمل هناك بقطع حربية وقوات عسكرية.

رابعاً : لا يسعنا أيضا إلا أن نقرر حقيقة بالغة الأهمية وهي أن نجاح الإيطاليين التجاري ونشاطهم، وإصرارهم على تحقيق أهداف أمتهم ورغبتهم الاستعمارية، كان عاملا من بين العوامل التي ساعدت كثيرا في تأسيس مستعمرة عصب الإريترية كمقدمة لمناطق أخرى استعمرها الإيطاليون بعد ذلك إرضاء للنعرة القومية عندهم.

والله من وراء القصد يهدي وينير

المصادر والمراجع

أولاً : الوثائق : أ) الوثائق غير المنشورة :

1 – ديوان جلالة الملك – مجموعة الفرمانات الشهبانية.

2 – دفتر 408 صادر ديوان المعية.

3 – دفتر رقم 9 عابدين – صادر تلغرافات.

4 – محفظة 47 معية تركي.

5 – دفتر 1847 معية سنية.

ب) الوثائق المنشورة :

6 –الوثائق التاريخية الإيطالية حول احتلال إريتريا – وزارة الخارجية الإيطالية – إشراف كارلوجوليو – ترجمة جبهة التحرير الإريترية – دمشق – 1978م.

ثانياً : المراجع :

7 – ج.ك.ن. تريفاسكيس – إريتريا مستعمرة في مرحلة الانتقال – ترجمة جوزيف صغير – ط1 – بيروت – 1977م.

8 – جبهة التحرير الإريترية – كفاح إريتريا – بدون بيانات.

9 – د. جلال يحيى – مصر الأفريقية والأطماع الاستعمارية في القرن التاسع عشر – دار المعارف – 1967م.

10 – س.ف. نايدل – التركيب السكاني في إريتريا – ترجمة جوزيف صغير – د.ت.

11 –د. السيد رجب حراز – إريتريا الحديثة (1557، 1941) – معهد البحوث والدراسات العربية – القاهرة – 1974م.

12 –د. السيد رجب حراز – الأصول التاريخية للمشكلة الإريترية – معهد البحوث والدراسات العربية – 1977م – القاهرة.

13 –د. شوقي الجمل – تاريخ كشف أفريقيا واستعمارها – الأنجلو المصرية – ط2 – القاهرة – 1980م.

14 –د. محمود صالح منسي – الحملة الإيطالية على ليبيا – ط 1– القاهرة – 1980**ثالثاً : المراجع الأجنبية :**

15- Adolofo Rossi – L. Ertirea come oggi – Regina, Roma – 1894.